يتغير الانسان في حالتين
إذا زاد وعيه أو كسر قلبه

مجرد ملاك



خير أم شر أنا؟ هذا ما أحاول الإجابة عنه.. سأقدم لكم نفسي، أولا أنـا تلك الفتاة التي أرهقتها الحياة.. أنا هي التي تقـاوم حـتى آخـر أنفاسـها الهزيلة.. أنا هي نزالين. والآن بعد أن تعرفتم علي لابد وأنكم تتساءلون عن سبب تواجدي بين أسـطر هـذا الكتـاب، ليس لأنكم أحببتمـوني بـل لأن عقولكم فضولية وأنا سأشبع فضولكم.. سـوف أسـرد لكم حكـايتي من بدايتها.. منذ تلك اللحظة التي أبصرت فيها عيناي نور الحياة.

في الخامس والعشرين من شهر مارس، في مكان ما في هـذا العـالم، وبالضبط في إحـدى المستشـفيات العموميـة، تعجب الأطبـاء من حـال مولودة جديدة لم تصرخ لحظة معانقتها لهواء الحياة، وأغمي عليهـا في أولى أيامها.. حسنا تلك هي نزالين، ربما لم تصرخ لأنهـا كـانت تعلم مـا الذي لايزال ينتظرها. كانت فرحة والدتها بها لا توصـف، ربمـا لأنهـا لم تعلم أنها أنجبت شيطانا، أو ربما لأنها كانت الفتاة الأولى والأخيرة الـتي ترزق بها بعد أربعة ذكور.

كانت نزالين هزيلة الجسـد، مدللـة بين إخوتهـا منـذ أول أيامهـا معهم، لأنهم استطابوا فكرة تواجد فتاة صغيرة بالمنزل. كانت نـزالين الفتـاة الهادئة الجميلة جـدا تكـبر يومـا بعـد يـوم، وحضـورها يملأ الـبيت فرحـا وحبورا. لم يوقف فرحة الأيام وانسيابها سوى يـوم مشـؤوم أفـزع كـل أفراد العائلة. حدث ذلك حينما تخطت نزالين عامها الأول بأشهر قليلـة، كانت تحاول تعلم المشي مستعينة بمشاية، وبينما الأخ الأصـغر محمـود والـذي ذي الإحـدى عشـرة سـنة يلعب بعلبـة الجبن الصـغيرة، والأم منشغلة بأعباء البيت كعادتها، سمع صوت ارتطام شـيء مـا على أدراج السـلم، ثم صـراخ محمـود المختلـط البكـاء.. لقـد سـقطت نـزالين بمشايتها، اربعـة عشـر درجـا كـانت كافيـة لتصبح الصـغيرة غارقـة في دمائها، ملقاة أمام باب الخروج.. ذهلت الأم من الصـدمة لكن سـرعان ما دوّى عويلها في أرجاء المنزل دون أن يهـرع إليهـا أحـد؛ فـالأب كـان مسافرا في رحلة عمل، أمـا الأخ الأكـبر فقـد جـاء بعـد اتصـال هـاتفي اختطف قلبه لأنه كان يخشى على عصفورته من نسمات الهواء، فكيف وخبر ينزل عليه كالصاعقة بأن أخته الغالية تصارع الموت.

بعد دقائق معدودة كانت الطفلة بين يدي طبيب قـريب سـيخبرهم بعـد فحص سريع بضرورة نقلها إلى المستشفى الجهوي لأنه مجهـز بأحـدث

التجهيزات وبه أطباء قادرون على التعامل مع مثل هـذه الحـالات، ولأن المصائب تأتي تباعـا فقـد واجهت الأسـرة مشـكلة العثـور على سـيارة إسعاف كي تُنقل نازالين في ظروف مناسبة. سيارة الإسعاف الوحيـدة في المستشفى المحلي من سـوء الحـظ معطلـة. الحـل الوحيـد الـذي تبقى أمــامهم هــو الاســتعانة بســيارة جــارهم علي المخصصــة لنقــل الركاب.

بعد أربع ساعات من الأمل والألم كانت الطفلة داخـل غرفـة العمليـات بين يدي الأطباء يحاولون إعادة ترميم عظام الرأس عسى ألا تكون قد لامست المخ وأضرت بأعصابه. كانت لحظات الانتظار أمر وأقســى من كل الأوقات السابقة، فقد كان الأسى يعتصر قلـوب المنتظـرين، أسـى قاطعـه خـروج أحـد الجـراحين ويخـبر الأم بـأن الحالـة تسـتدعي بقـاء الصغيرة تحت المراقبة في غرفة الإنعاش لعدة أيام.

مرت الأيام على الأم وابنيها مريرة صعبة، يقضون ليلتهم بأحـد الفنـادق المجاورة للمستشفى، ومـع بـزوغ ضـوء الشـمس يهرعـون إلى غرفـة الصغيرة لتفقد حالتها.. وما هي إلا أيام حتى غدت بطلتنا أحسـن حـالا.. فكانت رحلة العودة إلى المنزل بعد غياب طويل. حظيت الطفل بعنايـة خاصة خلال قضائها لفترة نقاهتها بالمنزل، لكن شـيئا مـا ليس على مـا يرام، فسلوك نزالين بدأ يتغير، تولـك الفتـاة اللطيفـة الهادئـة أصـبحت شيطانا صغيرا.. ربما ستجدونني أبالغ بهـذا الوصـف لملاك صـغير، لكن صدقوني، تلك الطفلة الهادئـة أصـبحت مبعث معانـاة حقيقيـة لوالـدتها وأسرتها، بل ولنفسها أيضا.